

كيف تكون خطيبا ناجحا

بقلم

د. عرفات كرم ستوني

بسم الله الرحمن الرحيم

أهمية الخطبة

- (1) أنت وكيل رسول الله (صلى الله عليه وسلم). فالعلماء ورثة الأنبياء.
 - (2) الناس يأتون من أجل أداء عبادة، فهم يأتون عن طواعية، رغبة في نيل رضا الله.
 - (3) الناس يأتون من غير دعوة.
 - (4) الناس يأتون وهم مأمورون بالاستماع إليك.
 - (5) الاستماع إليك واجب وعبادة.
- فإذا ما كان ذلك كذلك فعلى الخطيب أن يكون في مستوى طلب مستمعيه.

أولا) الإخلاص

- (1) قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ قَامَ يَخْطُبُ لَا يَلْتَمِسُ بِهَا إِلَّا رِيَاءً وَسَمْعَةً أَوْ قَفَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَوْقِفَ رِيَاءٍ وَسَمْعَةٍ".
- (2) كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنْ أَكْتُبِيَ إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ وَلَا تُكْثِرِي عَلَيَّ فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَا بَعْدُ فَأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مَنْ أَلْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ وَمَنْ أَلْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ.
- (3) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ أَمَا إِنِّي لَسْتُ أَقُولُ يَعْبُدُونَ شَمْسًا وَلَا قَمَرًا وَلَا وَتْنَا وَلَكِنْ أَعْمَالًا لِغَيْرِ اللَّهِ وَشَهْوَةً خَفِيَّةً. ومعنى الشهوة الخفية حب اطلاع الناس عليه.
- (4) قال ابن العربي: "وكم قصم الظهور حب الظهور".
- (5) وعن عمر بن ذر أن قال لوالده: يا أبي مالك إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون، فقال يا بني: ليست النائحة التكلية مثل النائحة المستأجرة.
- (6) قال إبراهيم بن أدهم: "ما صدق الله من أحب الشهرة".
- (7) قال الفضيل بن عياض: "من أحب أن يذكر لم يذكر، ومن كره أن يذكر ذكر".

ثانيا) الفصاحة والبلاغة مع جوامع الكلم

- (1) قال تعالى على لسان موسى عليه السلام { واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي) (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا، فأرسله معي ردءا يصدقني).
- (2) قال (ص) إن من البيان لسحرا.

- قراءة الآيات والأحاديث بلغة عربية فصيحة دقيقة.
 - بلغة كردية واضحة عرية عن الكلمات الأجنبية.
- (3) قال أبو بكر الصديق (رض): " لأن أقع فتكسر رجلي أحب إلي من أن أقع في اللحن".
- (4) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " تعلموا العربية فإنها تزيد المروءة".
- (5) قال ابن تيمية الحراني: " ضبط الدين بضبط اللسان".
- (6) قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ قَالَ الْمُتَكَبِّرُونَ. وَالثَّرَثَارُ هُوَ الْكَثِيرُ الْكَلَامِ وَالْمُتَشَدِّقُ الَّذِي يَتَطَاوَلُ عَلَى النَّاسِ فِي الْكَلَامِ وَيَبْدُو عَلَيْهِمْ وَيَسْخَرُ مِنْهُمْ، وَالْمُتَفَيِّهُقُ الْمُتَكَبِّرُ عَلَى النَّاسِ وَالْبَقِيَّةُ، بِكَلَامِهِ وَخُطْبِهِ وَخُدَيْثِهِ.
- (7) ذكر عند علي بن عبد الله بن عباس بلاغة لرجل، فقال: إني لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلا على مقدار علمه، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلا على مقدار عقله.

ثالثا) مواكبة الواقع

- (1) قال ابن قيم الجوزية: " كان صلى الله عليه وسلم يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصالحتهم، فإذا رأى منهم ذا فاقة و حاجة، أمرهم بالصدقة، وحض عليها". كالحديث عن الإرهاب والقومية وكذبة نيسان، والبيئة والمرأة والانتخابات والطفل والأم والعمال وهلم جرا.
- (2) يقول خطيب دمشق هشام بن عمار: " ما أعدت خطبة منذ عشرين سنة".
- (3) ينبغي للخطبة أن تكون حول موضوع واحد لا تتعدى إلى موضوع ثان، لأن ذلك يشظي ذهن المستمع.

رابعا) خطبة تيسيرية وتبشيرية

- (1) دخل عبيد بن عمير على عائشة فسألت: من هذا؟ فقال: أنا عبيد بن عمير، قالت: عمير بن قتادة، قال نعم يا أمه، قالت: أما بلغني أنك تجلس ويجلس إليك؟ قال بلى يا أم المؤمنين: قالت: فإياك وتقنيط الناس وإهلاكهم".

- لا يمكن إصلاح الناس في خطبة.
- لا يمكن شرح الإسلام كله في خطبة.
- لا يمكن الانتقام من خلال الخطبة.
- الأصل البدء بالابتسام (تبسمك في وجه أخيد صدقة)، ثم الغضب واحمرار الوجه في موضع يلزم ذلك ويقتضيه.

- عدم تعميم المشكلة الشخصية وتفجيرها في يوم الجمعة من على المنبر. كمن لم يأخذ قطعة أرض.
- الإنصاف عند التقويم، فبعض الناس كالذباب لا يقع إلا على الجرح كما قال ابن تيمية الحراني.

خامسا) الارتجال

- (1) هكذا كانت السنة في عهد السلف الصالح، وقد قال علي طنطاوي: الخطبة إن لم تكت ارتجالية كانت باردة.
- (2) الورقة تمزق التفكير وتشتت الذهن، وتوقف سلسلة الكلام، وتقطع مواصلة الخطبة.
- (3) الارتجال يدعوك إلى التفكير والتأثير في الناس بحركاتك ونظراتك ويمنتك ويسرتك وتركيزك.
- (4) الرغبة في إلقاء الخطبة، يقول جون: إن المحبة الحقيقية تطر الخوف.
- (5) تقسيم نظرتك إلى جميع مستمعيك، لا أن تركز على زاوية واحدة فقط، فهذا ظلم في حق المخاطبين.
- (6) تصور أن الجمهور والمستمعين عبارة عن أحجار وأشجار وأصنام.
- (7) القراءة المستمرة وتنوع الثقافة (المادة الاحتياطية).

سادسا) سلامة الخطبة من الأخطاء والأغلاط

- (1) تلاوة الآيات والأحاديث بدقة. قصة سيد قطب مع المرأة الإنجليزية. وقصتي مع الخطبة باللغة الإنجليزية. للقرآن الكريم موسيقى مؤثرة في الناس وإن لم يفهموا معاني القرآن، وقصتي مع العجوز الماليزية.
 - التأكد من المعنى الصحيح من الآية والحديث.
 - التأكد من صحة الحديث.
 - التأكد من سلامة الأفكار وترتيبها.
 - التأكد من الوحدة الموضوعية للخطبة.
- (2) التدريب على الخطبة قبل الإلقاء، وهذا ليس عيبا، لأن الخطبة مسؤلية عظمى.

سابعا) الجمال والتطهر

- (1) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَا عَلَى أَحَدِكُمْ لَوْ اشْتَرَى ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ سِوَى ثَوْبٍ مَهْنَتِهِ.
 - (2) قال النووي: " ويلبس أحسن ثيابه".
 - (3) قال عمر بن الخطاب: " إياكم وليستين، لبسة مشهورة، وليسة محقورة".
 - (4) المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة.
 - (5) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " أحب أن أنظر إلى القارئ أبيض الثياب، ليعظم في نفوس الناس، فيعظم في نفوسهم ما لديه من الحق".
- ثامنا) الأصل أن تكون الخطبة هادئة لينة مرنة.

- (1) الهدوء واللين والرفق، قالت عائشة رضي الله عنها: " كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه، ولم يكن يسرد الحديث سرداً.
- (2) عدم التشنج والغضب والتورم، ويستدلون بحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب، علا صوته واحمرت وجنتاه واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صباحكم مساكم" ولكن الحديث يقول: " وكان إذا ذكر الساعة علا صوته واحمرت وجنتاه واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صباحكم مساكم من ترك مالا فلورثته ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإلى وعلى أنا ولي المؤمنين * رواه مسلم في الصحيح عن أبي بكر بن أبي شيبة. والأولى أن يثيرك الموقف لا أن تثير الموقف، أن يغضبك الموقف لا أن تتغضب الموقف.
- (3) قال الماوردي: " فإن الماء مع لينة يؤثر في صم الصخور، فكيف لا يؤثر العلم الزكي في نفس راغب شهوي، وطالب خلي، لا سيما وطالب العلم معان".
- (4) قال الماوردي: " الدر يقطعه جفاء الحالب".
- (5) قصة الشيخ الذي نصح هارون الرشيد بعنف وشدة، فقال له هارون الرشيد: لست أفضل من موسى عليه السلام، ولست أشد من فرعون، ومع ذلك وصاه الله تعالى وأخاه هارون عليهما السلام بقوله { اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ }.
- (6) ثم إن مكبرات الصوت إذا كانت موجودة فلا داعي للصياح.
تاسعا) الدعاء في الخطبة.

- (1) ينبغي أن يكون بلغة القوم.
- (2) الدعاء لا بد أن يكون في خير الناس وهدايتهم.
- (3) الدعاء للبلد وقادته بالخير والصلاح.
- (4) الاستفادة من الأدعية الواردة في القرآن والسنة وما ثبت عن السلف الصالح، وتجنب التقليد في الدعاء.

عاشرا) لا بد للخطبة أن تكون هادفة.

- (1) أن تكون الخطبة في مسائل اتفاقية لا خلافية، تفرق وتمزق وتبعثر، بل لا بد أن تجمع وتوحد.

الحادي عشر) قول الحق

- (1) قال تعالى { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا }.
- (2) قال تعالى { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ }.
- (3) قال صلى الله عليه وسلم { أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا هَيْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ إِذَا عَلِمَهُ }.
- (4) قال ابن قيم الجوزية: الحق يقال ولكن ليس في كل مقام.

الثاني عشر) قل وإن لم تعمل به.

- (1) قال تعالى { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ }.
- (2) قال الحسن لمطرف بن عبد الله: عظ أصحابك، فقال إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، قال: يرحمك الله ! وأينا يفعل ما يقول ! ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر.
- (3) قال مالك عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينها عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر، قال مالك: وصدق، من ذا الذي ليس فيه شيء.

الثالث عشر) التفنن والتنوع.

- (1) عدم الاختصار على مقدمة واحدة كخطبة الحاجة، فالتفنن في المقدمات والكلمات والعبارات.
- (2) عدم التقليد لأنه يقتل صاحبه ويهينه ويحقره ويصغره في أعين الناس، فلو كنت مقلدا إياه مئة بالمائة لم يقل لك خطيب، فكونوا نسخا مبتكرة لا نسخا مكررة.
- (3) إتيان الموضوع بشتى جوانبه، خذ مثلا الحديث عن المولد النبوي، فالأغلبية يبدأ بالحديث عن ولادته وتاريخ حياته صلى الله عليه وسلم، والأولى أحيانا الحديث عن ضرورة ظهور نبي كمحمد (ص) لذا يجب التطرق إلى أحوال العرب قبل الإسلام.
- (4) عدم التقليد في الدعاء، فهناك أدعية مكررة ومشهورة على الألسنة والأسماع، خذ مثلا اللهم ادفع الظالمين بالظالمين واجعلنا من بين أديهم سالمين".

الرابع عشر) إقصار الخطبة وإطالة الصلاة.

- (1) قال صلى الله عليه وسلم: " إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مِثْنَةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَاطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصُرُوا الْخُطْبَةَ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا.
- (2) عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ (أي ابن مسعود) يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوْ دِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ قَالَ أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمْلِكُمْ وَإِنِّي أَتَحَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا. وفي رواية يتحولنا أي يراعي أحوالنا، والأولى يراعي أوقاتنا.
- (3) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا. أي وسطا لا طويلة ولا قصيرة.
- (4) حديث جابر بن سمرة (رض) عند أبي داود. وله: " كان رسول الله ﷺ لا يطيل الموعظة يوم الجمعة، إنما هن كلمات يسيرات".
- (5) عن عمار قال: " أمرنا رسول الله (ص) بإقصار الخطبة".

- (6) قال الخضر لموسى عليه السلام: "إن القائل أقل ملالة من المستمع، فلا تمل جلساؤك إذا حدثتهم".
- (7) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ قَلِيلٍ خُطِبَ أَوْ كَثِيرٍ عُلِّمَ أَوْ يُطِيلُونَ الصَّلَاةَ، وَيَقْصُرُونَ الْخُطْبَةَ، وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ كَثِيرٌ خُطِبَ أَوْ قَلِيلٌ عُلِّمَ أَوْ يُطِيلُونَ الْخُطْبَةَ".
- (8) عن ابن السماك أنه جلس يوما للوعظ وجاريتة تسمع كلامه، فلما انصرف إليها، قال لها، كيف سمعت كلامي؟ قالت ما أحسنه إلا أنك تكثر ترداده، فقال: أردده كي يفهمه من لم يفهمه، فقالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه، قد مله من فهمه.
- (9) قصة عثمان وتلعثمه، ثم أنهى خطبته بحكمة مشهورة (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن" ثم نزل من المنبر وأقام الصلاة).
- (10) قبيلة أفريقية تسمح للخطيب بالحديث طالما استطاع الوقوف على ساق واحدة، فإذا لمست قدمه الأخرى الأرض وجب التوقف عن الخطاب.
- (11) عيسى عليه السلام ألقى خطابا على الجبل بخمس دقائق. العظة على الجبل.